الفصل الثاني عشر

الغزوات والسرايا والبعوث والأحداث التي وقعت بين غزوة بني قريظة وغزوة الحديبية:

المبحث الأول: سرية عبدالله بن عَتِيْك لقتل سَلَّام بن أبي الحُقَيْق (أبي رافع):

لقد قدمنا أن أبا رافع كان ممن ألب الأحزاب على رسول الله ﷺ[1] وكان يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه[2]. فقد أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ[3].

رغبت الخزرج في قتل أبي رافع مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وذلك بعد الفراغ من بني قريظة. وكان الله (سبحانه وتعالى) قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم، ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة[4].

فخرج من المدينة خمسة من الخزرج إلى حصن أبي رافع بخيبر من أرض الحجاز للقضاء عليه. وقد أمر الرسول ﷺ عليهم عبدالله بن عتيك.

فلما دنوا، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، قال عبدالله لأصحابه: «اجلسوا مكانكم فإني منطلق فمتلطف للبواب لعلي أدخل». «فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته. وقد دخل الناس، فهتف به البواب: ياعبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل لأغلق، فدخل، فكمن، فأغلق البواب الباب، وعلق الأقاليد على وتد، فقام ابن

---

(١) انظر في مكانه من هذا الكتاب.
(٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١٤/ح ٤٠٣٩).
(٣) رواه ابن عائذ من طريق أبي الاسود عن عروة، كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٦).
(٤) هذا الجزء من رواية ابن إسحاق بإسناد مرسل موقوف على عبدالله بن كعب - ابن هشام (٣/ ٣٨٠).

عتيك ففتح الباب، ثم توجه إلى بيت أبي رافع، وأخذ في فتح الأبواب التي توصل إليه، وكلما فتح بابا أغلقه من داخل حتى انتهى إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله. فلم يمكنه تمييزه، فنادى: ياأبارافع، فقال: من؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت، فلم يغن شيئا، فعاد عبدالله يناديه، وفي كل مرة يغير صوته، حتى استمكن منه وقتله دون أن يؤذي أحدا من ولده أو زوجته.

ثم خرج من البيت، وكان بصره ضعيفا، فوقع من فوق السلم، فانخلعت رجله، فعصبها بعمامته، وتحامل على نفسه حتى جاء إخوانه فأخبرهم، فعادوا إلى الرسول ﷺ، فلما رآهم قال: «أفلحت الوجوه» وحدثوه بما حدث، ثم قال لعبدالله: «ابسط رجلك»، فمسحها عليه السلام فكأنه لم يشتكها قط[٥].

وقد اختلف أهل السير في تاريخ هذه السرية: فعند الواقدي[٦] أنهم خرجوا ليلة الاثنين في السحر لأربع خلون من ذي الحجة، على رأس ستة وأربعين شهراً من الهجرة وغابوا عشرة أيام، وعند ابن سعد[٧] أنها في رمضان سنة ست من الهجرة وعند الطبري أنها في النصف من جمادى الآخرة من السنة الثالثة الهجرية، وقيل في ذي الحجة سنة خمس، وقيل في سنة أربع، وقيل في رجب سنة ثلاث[٨].

والراجح أنه بعد الخندق وقريظة، لأنه ممن ألب الأحزاب على المسلمين. فإذا كان الرسول ﷺ قد فرغ من بني قريظة في منتصف ذي القعدة فتكون هذه السرية بعد هذا التاريخ بقليل. وعموما فإن كل ذلك لم ترد فيه روايات صحيحة من الناحية الحديثية.

---

(٥) من رواية البخاري/ الفتح (١٥/ ٢١٥ - ٢١٩/ح ٤٠٣٩).
(٦) المغازي (١/ ٣٩١).
(٧) الطبقات (٢/ ٩١) معلقا.
(٨) ابن حجر في الفتح (١٥/ ٢١٤). وخبر هذه السرية رواه ابن إسحاق من حديث الزهري عن عبدالله بن كعب - ابن هشام (٣/ ٣٨٠)، وابن سعد (٢/ ٩١ - ٩٢)، والبيهقي في السنن (٩/ ٨٠ - ٨١)، وعبدالرزاق في المصنف (٥/ ٤٠٧ - ٤١٠)، والواقدي (١/ ٣٩١ - ٣٩٥) - فانظر زياداتهم على رواية البخاري.

المبحث الثاني: سرية محمد بن مَسْلَمَة الى القُرْطَاء:

أرسل النبي ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين راكبا لشن الغارة على القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب، وذلك في العاشر من المحرم من السنة السادسة، على رأس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة[٩]. فسار إليهم يكمن النهار ويسير الليل حتى دهمهم على غرة، فقتلوا منهم عشرة، وفر الباقون. واستاقوا الإبل والشاء.

ولقيهم ثُمامَة بن أُثال الحنفي، سيد بني حنيفة، وهم في طريق عودتهم إلى المدينة، فأسروه، وهم لا يعرفونه. فقدموا به المدينة، وربطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ، فقال: ما عندك؟ قال: عندي يامحمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد قال له ما قال بالأمس، فأجابه ثمامة بمثل ما أجاب. فأمر رسول الله ﷺ بإطلاقه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد وتلفظ بالشهادتين، وذكر للرسول ﷺ أن وجهه أصبح أحب الوجوه إليه، وأن دينه أصبح أحب الدين كله إليه، وأن بلده أصبحت أحب البلاد كلها، إليه، بعد أن كان ذلك كله أبغض الأشياء إليه. وقال إنه كان في طريقه إلى العمرة عندما أسر، فبشره رسول الله ﷺ وأذن له بالعمرة. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت يا ثمامة. قال: لا، ولكن أسلمت، وأقسم ألا يأتيهم من اليمامة حبة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[١٠]. فكتبوا إلى رسول

---

(٩) الواقدي (٢/ ٥٣٤) وعنده انها على رأس خمسة وخمسين شهرا من مهاجره - ابن سعد (٢/ ٧٨) - معلقا، وعنده أنها على رأس تسعة وخمسين شهرا... ولأن قصة ثمامة في هذا الخبر من رواية أبي هريرة فقد رأى ابن كثير في البداية (٤/ ١٦٨) تأخيرها إلى ما بعد خيبر. انظر المغازي للذهبي، ص ٣٥١ في الزيادة التي بها شهود أبي هريرة خيبر.

(١٠) من رواية البخاري/ الفتح (١٦/ ٢١٠ - ٢١١/ح ٤٣٧٢)، ورواه أيضا: مسلم (٣/ ١٣٨٦/ح ١٧٦٤)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٨٨ - ٩٠)، وأبوداود (٣/ ١٢٩/ ك. الجهاد/ ب. في الأسير يوثق/ ح ١٧٦٤)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٤٣٣ - ٤٣٩) بإسناد البخاري ولفظه، وابن إسحاق - بلاغا - ابن هشام (٣/ ٣٨٠ - ٨١). وزاد ابن شبة من طريق شيخه فليح بن محمد وابن إسحاق انه لما كان في الأسر جمعوا ما كان في بيوت النبي ﷺ فلم يصب منه إلا قليلا، فتعجبوا، فقال النبي ﷺ: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء وإن المؤمن يأكل في مَعًى واحد».

==

الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة ليخلي لهم حمل الطعام، فأذن النبي ﷺ في ذلك[11].

فوائد من قصة ثمامة:

١) قال ابن حجر[12]: «وفي قصة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل. وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب، وان الكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم شرع له أن يستمر في عمل ذلك الخير. وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه. وفيه بعث السرايا إلى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه».

المبحث الثالث: غزوة بني لَحْيَان:

بنو لحيان هم الذين غدروا بخبيب وأصحابه يوم الرجيع. ولما كانت ديارهم متوغلة في بلاد الحجاز الى حدود مكة، ولوجود ثارات بين المسلمين من جهة وقريش والأعراب من جهة أخرى، رأى رسول الله ﷺ ألا يتوغل في البلاد القريبة من العدو الرئيس. فلما وهنت عزائم الأحزاب رأى أن الوقت قد حان ليأخذ من بني لحيان ثأر أصحاب الرجيع، فخرج إليهم في مائتي صحابي، في ربيع الأول أو جمادى الأولى سنة ست من الهجرة[13]،

==

وورد حديث الرسول ﷺ هذا في صحيح البخاري/ الفتح (٢٠/ ٣٢١ - ٣٣/ح ٥٣٩٣ - ٥٣٩٨) ولم يذكر اسم الرجل مع اختلاف يسير في سبب قول الرسول ﷺ - انظر شرح ابن حجر لهذه الأحاديث في الفتح (٢٠/ ٢٣٢ - ٢٣٦)، والترمذي كتاب: الأطعمة، والدارمي والموطأ وأحمد وغيرهم...

(١١) من زيادات ابن هشام على سيرة ابن إسحاق (٢/ ٣٨١) معلقا.

(١٢) الفتح (١٦/ ٢١٢/ ك. المغازي/ شرح الحديث رقم ٤٣٧٢).

(١٣) عند ابن إسحاق عن شيخيه عاصم بن عمر وعبدالله بن أبي بكر عن عبدالله بن كعب، فهو ضعيف للإرسال والعنعنة، وصرح بالتحديث في روايته عند ابن سعد (٢/ ٧٩) أنه خرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من غزوة بني قريظة - ابن هشام (٣/ ٣٨٧). وعند الواقدي (٢/ ٥٣٥) أنه خرج هلال ربيع الأول سنة ست. ووافقه ابن سعد (٢/ ٧٨) - وإسناده معلق.

واتبع أسلوب التعمية، إذ أظهر أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُرَان ـ واد بين أمج وعُسْفَان ـ حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم. وسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فسار إلى عُسْفَان، فبعث فارسين[١٤] إلى كُرَاع الغَمِيم[١٥] لتسمع به قريش فيداخلهم الرعب، ويريهم من نفسه قوة[١٦].

وفي عسفان استقبلهم جمع من المشركين على رأسهم خالد بن الوليد، فصلى النبي ﷺ بأصحابه الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو أصبنا منهم غرتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم صلاة[١٧] هي أحب إليهم من ابنائهم وأنفسهم: فنزل جبريل (عليه السلام) على رسول الله ﷺ بهذه الآيات: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معكم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم. ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم، إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾[١٨][١٩].

وقيل إن هذه أول صلاة خوف صلاها رسول الله ﷺ[٢٠] وللعلماء مقال

---

(١٤) من رواية ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٣٨٨) وابن سعد (٢/ ٧٩)، وعند الواقدي (٢/ ٥٣٦) أنهم عشرة.

(١٥) موضع جنوبي عسفان بثمانية أميال، وعسفان قرب مكة.

(١٦) من رواية الواقدي. وإلى هنا من خبر هذه الغزوة رواه ابن إسحاق بإسناد ضعيف ـ ابن هشام (٣/ ٣٨٧ ـ ٨٩) و ابن سعد (٢/ ٧٨ ـ ٨٠) من طريق ابن إسحاق، ومختصرا من طريق غيره، الواقدي (٢/ ٥٣٥ ـ ٥٣٧).

(١٧) هي صلاة العصر.

(١٨) النساء: ١٠٢.

(١٩) من رواية الإمام أحمد في المسند (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) بإسنادين على شرط الشيخين كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٩٣)، وصححه الشيخ شاكر في تفسير الطبري (٩/ ١٣١ ـ ١٣٢)، وخرج الحديث من طرق أخرى عند الآخرين، فانظره في حاشيته، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢٠) البداية والنهاية (٤/ ٩٤).

في كيفية صلاة الخوف والوقت الذي فرضت فيه[٢١].

فوائد من هذه الغـزوة:

١) مشروعية صلاة الخوف.
٢) مشروعية المعاقبة بالمثل بقتال، وقتل من خان وغدر.
٣) مشروعية التورية والتعمية على العدو ليصاب منه غرة.
٤) مشروعية إرهاب العدو بالنزول بساحته وإظهار القوة له[٢٢].

المبحث الرابع: سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن الى الغَمْر:

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلا إلى الغمر[٢٣] في ربيع الأول أو الآخر من العام السادس الهجري. فأسرعوا، ونذر بهم القوم وهربوا. فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا من دلهم على بعض ماشتيهم فوجدوا مائتي بعير، فساقوها إلى المدينة[٢٤].

المبحث الخامس: سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى ذي القَصَّة[٢٥]:

وفي ربيع الثاني من السنة السادسة الهجرية بعث رسول الله ﷺ محمد ابن مسلمة في عشرة من الصحابة إلى بني ثَعْلَبة وعُوَال ـ من ثعلبة ـ فكمن القوم لهم حتى نام مع أصحابه، فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب محمد ابن مسلمة كلهم، أما هو فقد وقع جريحا فظنوه ميتا. فمر رجل بالقتلى، فاسترجع، فسمعه ابن مسلمة فتحرك له، فاذا هو رجل مسلم. فأطعمه

---

(٢١) انظر ذلك في تفسير الآيتين (١٠١، ١٠٢) من النساء عند الطبري في التفسير (٩/ ١٢٧ ـ ١٦٢/شاكر) وعند ابن كثير في البداية (٤/ ٩٣ ـ ٩٤) وفي التفسير (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٦). وقد رجح الحكمي ـ مرويات غزوة الحديبية، ص ص ١١٥ ـ ١٣٢ أن أول صلاة خوف صلاها الرسول ﷺ بعسفان في الحديبية والإشكال كله في تشابه القصة التي في غزوة بني لحيان والتي في الحديبية، وأن رواية الصلاة بعسفان لم تقرن بالحديبية. وسيأتي ذكر ذلك في مكانه عند الكلام على غزوة الحديبية ـ إن شاء الله.

(٢٢) انظر: هذا الحبيب محمد ﷺ ياحب، ص ٣٢٦.

(٢٣) ماء من مياه بني أسد.

(٢٤) ابن سعد (٢/ ٨٥) ـ دون إسناد، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٨٥.

(٢٥) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة. كان يقطنه بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة.

وسقاه، ثم حمله إلى المدينة. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نعما وشاء، فساقه ورجع[٢٦].

المبحث السادس: سرية زيد بن حارثة الى بني سُلَيْم بالجَمُوم:

بعثه رسول الله ﷺ في ربيع الآخر سنة ست من الهجرة، فسار حتى ورد الجموم، ناحية بطن نخل، عن يسارها، فأصابوا امرأة من مزينة، يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نعما وشاء وأسرى. فكان فيهم زوج حليمة المزنية. وعندما عاد زيد بما أصاب وهب الرسول ﷺ للمزنية نفسها وزوجها[٢٧].

المبحث السابع: سرية زيد بن حارثة الى العِيص[٢٨]

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، في سبعين ومائة راكب ليتعرض لعير لقريش بلغه أنها أقبلت من الشام، فتمكنوا من أخذها ومافيها، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا أناسا ممن كان في العير، منهم أبوالعاص بن الربيع، وقدموا بهم إلى المدينة، فاستجار أبوالعاص بزوجته زينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته، وقبل الرسول ﷺ إجارتها ورد عليه ما أخذ منه[٢٩]. وجاء أبوالعاص إلى مكة وأدى

---

(٢٦) الواقدي (٢/ ٥٥١)، ابن سعد (٢/ ٨٥) ـ معلقا ـ والطبري في تاريخه من رواية الواقدي (٢/ ٦٤١) وعنده أنها في ربيع الأول، ولعل الطبري قد أخطأ في النقل عن الواقدي.

(٢٧) ابن سعد (٢/ ٨٦) ـ بدون إسناد.

(٢٨) بينها وبين المدينة أربع ليال.

(٢٩) ابن سعد (٢/ ٨٧) ـ معلقا، وزاد ابن إسحاق ـ ابن هشام (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨)، والواقدي (٢/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) خبر إسلام أبي العاص ورد الرسول ﷺ عليه زوجته. وقصته إلى أمر الإجارة رواها ابن إسحاق بدون إسناد، وروى خبر رد ماله منقطعا، وروى خبر رد زينب بالنكاح الأول بإسناد متصل وفيه التصريح بالسماع، ولكن في سنده داود بن الحصين، وفيه كلام كما في التهذيب (٣/ ٦٨١). وممن روى حديث النكاح باسناد ابن إسحاق: الترمذي (٢/ ٣٠٥) وقال: «هذا حديث ليس باسناده بأس...». ورواه من غير طريق ابن إسحاق: سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٧٣) مرسلا عن الشعبي، ولعل حديث ابن إسحاق يتقوى بهذا، لأن مراسيل الشعبي صحيحة عند بعض كبار المحدثين ـ انظر كتاب المراسيل لأبي دواد، تحقيق عبدالعزيز السيروان، ص ٤٤. ويرى ابن كثير في البداية (٤/ ٢٠١) أن إسلام أبي العاص كان في سنة ثمان، سنة الفتح، لا كما ذكر الواقدي من أنه سنة ست. وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين.

إلى كل ذي حق حقه، ثم نطق بالشهادتين، وقال لهم: وما منعني أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أني أسلمت لأن أذهب بالذي لكم. ثم رجع إلى المدينة، فرد عليه الرسول ﷺ زينب بذلك النكاح الاول[٣٠].

حكم من أحداث هذه السرية:

١) استُدِلَّ بقصة زينب (رضي الله عنها) وابن الربيع على أن المرأة المسلمة إذا هاجرت إلى رسول الله ﷺ، وزوجها كافر، مقيم بدار الكفر، فإن الهجرة تفرق بينه وبين زوجته، إلا أن يقدم زوجها مسلما مهاجرا قبل أن تقضي عدتها، فإن الهجرة في هذه الحالة لا تفرق بينهما. وكذلك الحكم إذا أسلم الزوج بعد انقضاء العدة ولو طالت المدة، فهما على نكاحهما الأول، إذا اختار ذلك مالم تتزوج[٣١].

المبحث الثامن: سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرف[٣٢]:

بعثه الرسول ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة في خمسة عشر رجلا إلى بني ثعلبة بالطرف، فأصاب نعما وشاء، وهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم. وعاد زيد وصحبه سالمين غانمين[٣٣].

المبحث التاسع: سرية زيد بن حارثه إلى جُذَام من أرض حِسْمَى[٣٤]:

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست إلى الضليع، بطن من جذام، لتأديبهم. إذ إن رجلين منهم لقيا دحية بن خليفة الكلبي وهو قادم من عند قيصر الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له. فأغارا

---

(٣٠) ابن إسحاق، بإسناد متصل، فيه ابن الحصين... ابن هشام (٢/ ٣٦٨).
(٣١) انظر الشيخ سيد سابق: فقه السنة (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠) ففيه تفصيل هام.
(٣٢) ماء قريب من المرقى، وقيل المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلا من المدينة - معجم البلدان (٤/ ٣١)، وابن سعد (٢/ ٨٧).
(٣٣) ابن سعد (٢/ ٨٧) معلقا، الواقدي (٢/ ٥٥٥).
(٣٤) أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم، وقيل هي لجذام جبال وأرض... معجم البلدان (٢/ ٢٥٨ - ٥٩).

عليه وسلبا مامعه، فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره قبل أن يدخل بيته[٣٥].

والذي ثبت في الصحيح أن دحية الكلبي قد أرسله الرسول ﷺ إلى هرقل في مدة صلح الحديبية كما سيأتي ذكره في مكانه في مباحث «الرسل»، ولذا لم نر وجها في قول أصحاب المغازي والسير في أن بعثه إلى هرقل كان في جمادى الآخرة سنة ست.

المبحث العاشر: سرية زيد إلى وادي القُرَى[٣٦]:

كانت في رجب سنة ست من الهجرة[٣٧].

المبحث الحادي عشر: سرية عبدالرحمن بن عوف الى دُوْمَة الجَنْدَل:

في شعبان سنة ست من الهجرة دعا رسول الله ﷺ عبدالرحمن بن عوف فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال له: «بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال له: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فجاءهم ومكث فيهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم رئيسهم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا، وأسلم معه خلق كثير من قومه. وأقام من أقام على إعطاء الجزية، وتزوج عبدالرحمن تُمَاضِر بنت الأَصْبَغ، وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سَلَمَة ابن عبدالرحمن[٣٨].

المبحث الثاني عشر: سرية علي بن أبي طالب إلى بني عبدالله بن سعد ابن بكر بِفَدَك:

بعثه الرسول ﷺ إليهم في شعبان سنة ست، عندما بلغه أن لهم جمعا

---

(٣٥) ابن إسحاق ـ معلقا ـ وفيها تفصيل ـ ابن هشام (٤/ ٣٤٥)، وابن سعد (٢/ ٨٨) معلقا والواقدي (٢/ ٥٥٥).

(٣٦) واد بين الشام والمدينة ، بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى ـ معجم البلدان (٥/ ٣٤٥).

(٣٧) ابن سعد (٢/ ٨٩) باختصار شديد.

(٣٨) ابن سعد (٢/ ٨٩) معلقا، ابن إسحاق، بإسناد منقطع، ولم يسم وجهة السرية وزاد ابن هشام ـ معلقا ـ أنها سرية دومة الجندل ـ ابن هشام (٤/ ٣٦٩ ـ ٧١)، الواقدي (٢/ ٥٦٠) بإسناد متصل.

يريدون أن يمدوا يهود خيبر. وكان معه مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار. وأصاب في طريقه عينا، فأقر له أنه بعث إلى خيبر، ليعرض عليهم نصرهم، على أن يجعلوا لهم تمر خيبر. وعندما أمنوه دلهم على مكانهم فأغاروا عليهم، فاستاقوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنوسعد بالظعن(٣٩).

المبحث الثالث عشر: سرية زيد بن حارثة إلى بني فَزَارَة:

روى ابن هشام(٤٠) من حديث ابن إسحاق في أمر هذه السرية أن زيدا لقي بني فزارة بوادي القرى، فأصيب بها ناس من أصحابه، وحمل زيد جريحا من بين القتلى، وبه رمق. وأقسم زيد ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة. ـ ولعل هذه السرية هي سرية زيد إلى وادي القرى في رجب سنة ست كما ذكر ابن سعد(٤١) ـ فلما شفاه الله من جراحته، بعثه رسول الله إلى بني فزارة في سرية، فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قَيْس بن المُسَحَّر اليعمري مَسْعَدَة بن حَكَمَة بن مالك بن حذيفة بن بدر، وأسرت أم قِرْفَة ـ فاطمة بنت ربيعة بن بدر ـ وكانت عجوزا عند مالك ابن حذيفة بن بدر، وبنت لها وعبدالله بن مسعدة. فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفا، ثم قدموا إلى رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة.

وروى الذهبي(٤٢) من حديث ابن إسحاق رواية ثانية مختصرة ذكر فيها سببا آخر لإرسال الرسول ﷺ زيدا في هذه السرية، وهو أن أم قرفة الفزارية جهزت أربعين راكباً من ولدها وولد ولدها إلى رسول الله ﷺ ليقتلوه، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد بن حارثة. وتقول الرواية إن زيدا قتلهم، وقتل أم قرفة، وأرسل بدرعها إلى النبي ﷺ فنصبه بالمدينة بين رمحين.

---

(٣٩) الواقدي (٢/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤)، ابن سعد (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) معلقا، ابن إسحاق مختصرا ومعلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٤٤).

(٤٠) السيرة (٤/ ٣٥١) معلقا.

(٤١) الطبقات (٢/ ٨٩) معلقا.

(٤٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) وأسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن يحيى وأبيه ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وهو مدلس.

وعندما قدم زيد قام إليه الرسول ﷺ يجر ثوبه، فقبل وجهه فرحا بهذا الانتصار.

وروى الواقدي[٤٣] سببا ثالثا لهذه السرية، وذكر بعض معلومات مغايرة لما ذكره ابن إسحاق. فقد روى أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وأصحابه وأخذوا ما معهم. فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسله في سرية فأوقع بهم، وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك، وكان الذي أخذ جارية، سلمة بن الأكوع. فسأله إياها الرسول ﷺ فأعطاها له، فوهبها الرسول ﷺ لحزن بن أبي وهب. وكان ذلك في رمضان سنة ست. ويذكر ابن اسحاق[٤٤] في رواية ثالثة والواقدي[٤٥] أن قيسا بن المسَحَّر قتل أم قرفة قتلا عنيفا، ربط بين رجليها حبلا ثم ربط بها بين بعيرين، وهي عجوز كبيرة، وقتل عبدالله بن مسعدة، وقتل قيس بن النعمان بن مسعدة ابن حكمة بن مالك بن بدر. وروى الواقدي[٤٦] أن زيدا عندما جاء إلى الرسول ﷺ في بيت عائشة (رضي الله عنها) قام إليه رسول الله ﷺ يجر ثوبه عريانا، حتى اعتنقه وقبله، ثم سأله فأخبره بما أظفر الله به.

ويلحظ أن روايات الواقدي تتفق مع روايات ابن إسحاق في بعض نتائج هذه السرية، وتختلف معها في الأسباب. والذي أود أن أشير إليه هنا هو أن رواية ابن إسحاق عند الطبري والخاصة بكيفية قتل أم قرفة تتفق مع رواية الواقدي. ومن الواضح أن الروايتين مردودتان سنداً ومتنا. فسند ابن إسحاق ضعيف لعلة الإرسال وضعف ابن حميد، ولم يسقها الواقدي بأي إسناد، وحتى ولو فعل ذلك فهو متروك لا يحتج بحديثه. أما المتن فهو مخالف لهدي الرسول ﷺ في معاملة الأسرى من النساء والنهي عن قتلهن،

---

(٤٣) المغازي (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) بإسناد منقطع.

(٤٤) رواها الطبري في التاريخ (٢/ ٦٤٣) من رواية ابن حميد عن سلمة، وموقوفة على عبدالله ابن أبي بكر، فهي مرسلة ضعيفة. وهذه الرواية تتفق مع الرواية الأولى التي أوردها ابن هشام ولكنها أكثر تفصيلا في كيفية قتل أم قرفة، وهي الكيفية التي ذكرها الواقدي.

(٤٥) المغازي (٢/ ٥٦٥)، معلقا.

(٤٦) المغازي (٢/ ٥٦٥) بإسناده إلى عائشة (رضي الله عنها).

وعن التمثيل بالقتلى، خاصة أن الروايتين لم تشيرا إلى أن أم قرفة كانت من المحاربين أو المحرضين على الحرب.

أما إذا ثبت أن أم قرفة كانت من المحاربين في صفوف الرجال فلا غضاضة من قتلها، ولكن دون التمثيل بها.

لقد روى مسلم(٤٧) وأحمد(٤٨) والبيهقي(٤٩) والطبري(٥٠) رواية صحيحة في خبر الجارية وأمها المشار إليهما عند أهل المغازي. فعندهم أن أمير السرية إلى بني فزارة كان أبا بكر (رضي الله عنه) وأن الجارية التي وهبها سلمة للنبي ﷺ، فادى بها النبي ﷺ أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين. ولم يسموا أم هذه الجارية، ولم يذكروا قتل والدتها. فاذا لم تكن السريتان مختلفتين فرواية هؤلاء هي المقبولة لأنها تتمشى في متنها مع وصايا رسول الله ﷺ في عدم قتل النساء. هذا إلى جانب صحتها من ناحية السند.

أما رواية أهل المغازي، فهي مضطربة من ناحية المتن ومخالفة لأمر النبي ﷺ في النهي عن قتل الأسرى من النساء، وعدم التمثيل بالقتلى، وضعيفة من ناحية السند، فلا يحتج بها(٥١).

المبحث الرابع عشر: سرية عبدالله بن رواحة إلى اليُسَيْر بن رِزَام اليهودي:

بلغ رسول الله ﷺ أن اليسير بن رزام أمير اليهود بخيبر بعد سلام بن أبي الحُقَيْق، أخذ يجمع غطفان ليغزوه بهم مع اليهود، فبعث إليه سرية في ثلاثين راكبا عليهم عبدالله بن رواحة، وفيهم عبدالله بن أُنَيْس، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى

---

(٤٧) صحيحه (٣/ ١٣٧٥ - ١٣٧٦/ح ١٧٥٥).

(٤٨) ابن كثير في البداية (٤/ ٢٦٤).

(٤٩) دلائل النبوة (٤/ ٢٩٠).

(٥٠) التاريخ (٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤) وهي الرواية الثانية في ذات الموضوع، والرواية الأولى التي ذكرها هي رواية ابن إسحاق التي فيها كيفية قتل أم قرفة.

(٥١) انظر: الدكتور عبدالعزيز الهلابي: «سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة دراسة نقدية للروايات التاريخية - مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود م١٣، ص ص ٦١ - ٨٢ (١٩٨٦م) وهي دراسة قيمة وجديرة بالاطلاع عليها. وفاته أن يذكر رواية ابن إسحاق عند الطبري في كيفية قتل أم قرفة، وهي الرواية التي تتفق مع رواية الواقدي في هذا الجانب كما ذكرنا.

تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، وكان هو رديف عبدالله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كانوا بِقَرْقَرَة ثِبار، على ستة أميال من خيبر، ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ، فأهوى بيده على سيف رديفه ابن أنيس، ففطن له، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بِمِخْرَش[٥٢] في يده من شَوَاحِط[٥٣]، فضرب به وجه عبدالله فأمه[٥٤]، ومال كل رجل من المسلمين على رديفه من اليهود فقتله، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه. فلما قدم ابن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه[٥٥].

وكانت هذه السرية في شوال سنة ست من الهجرة[٥٦].

المبحث الخامس عشر: سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العُرَنِيينَ:

قدم على رسول الله ﷺ جماعة من عُكَل[٥٧] وعُرَيْنَة[٥٨]، في شوال من العام السادس الهجري[٥٩]، وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يانبي الله، إنا كنا

---

(٥٢) المخرش: شبه المقرعة يضرب به، وهي معوجة الرأس.

(٥٣) الشواحط: شجر النبع، من أشجار الجبال التي يتخذ منها القسي (لسان العرب ٨/ ٣٤٥).

(٥٤) فأمه: أي جرحه في رأسه، والشجة المأمومة هي التي تبلغ أم الرأس والدماغ.

(٥٥) رواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٤/ ٣٥٢ - ٣٥٣)، وابن سعد - معلقا (٢/ ٩٢) ولم يذكر تفل الرسول ﷺ على شجة ابن أنيس، وعروة، رواه عنه أبو الأسود وفي سنده ابن لهيعة، وفيه مقال وحديثه حسن لولا الإرسال (مغازي عروة، ص ١٩٦، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٣ - ٩٤)، وأبونعيم في الدلائل (٢/ ٥١٦ - ٥١٧)، وابن كثير في البداية (٤/ ٢٧٤)، وموسى ابن عقبة عن الزهري مرسلا - ذكره البيهقي في الدلائل (٤/ ٢٩٤) وابن كثير في البداية (٤/ ٢٤٧)، ورواه سعيد بن منصور من مرسل بريدة بن سفيان كما ذكر ابن حجر في الفتح (٨/ ٣٨٣). ويلحظ أن المصادر المطبوعة تختلف في اسم أمير هذه السرية وفي اسم هذا اليهودي. فابن إسحاق وابن عقبة والواقدي وابن سعد يتفقون على أن أميرها ابن رواحة وعند عروة أنه ابن عتيك، وابن إسحاق وابن عقبة يتفقان على أن اسم اليهودي: اليسير بن رزام وعند عروة بشر بن رزام. وعند الواقدي وابن سعد يسير بن رزام. ولعل هناك بعض التصحيف عند عروة في الاسمين وعند الواقدي وابن سعد في الاسم الثاني، والواقدي من رواية عروة (٢/ ٥٦٦ - ٥٦٨) وفيه تفصيل وزيادة، من ذلك أن الرسول ﷺ بعث ابن رواحة أولا إلى خيبر في رمضان في ثلاثة نفر لمعرفة ما يدور فيها، فجاءه بخبر عزم اليسير على جمع غطفان وغزو المدينة، وقدم عليه خارجة ابن حسيل الأشجعي فاستخبره الرسول ﷺ فأفاد بان اليسير يعد للسير إلى المدينة في كتائب اليهود. وهذا يدل على مدى أهمية إخضاع خيبر لسلطة المسلمين، وهو ما تم فيما بعد.

(٥٦) الواقدي (٢/ ٥٦٦).

(٥٧) عكل: قبيلة من تيم الرباب.

(٥٨) عرينة: حي من بجيلة.

(٥٩) من رواية الواقدي (٢/ ٥٦٨) معلقة، وابن سعد (٢/ ٩٣)، معلقة.

أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بِذَوْدٍ[٦٠] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها ويتمسحوا بأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحَرَّة كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا الذَّوْد. فبلغ النبي ﷺ خبرهم فبعث الطَّلَبَ في آثارهم[٦١]، فقبضوا عليهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. قال قتادة راوي الحديث ـ: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة[٦٣]، وقال في رواية أخرى: إن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود[٦٣]. وقال أبوقلابة في حديثه: «هؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله[٦٤]».

قال الجمهور إن الآية: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوا من الأرض﴾[٦٥]، قد نزلت في هؤلاء العرنيين[٦٦]. وقيلت أسباب أخرى في نزولها[٦٧].

المبحث السادس عشر: سرية عمرو بن أمية الضَّمْرِي لقتل أبي سفيان:

أبدى أبوسفيان لقومه رغبته في إرسال من يقتل محمدا، فجاءه أعرابي

---

(٦٠) الذود: الإبل إذا كانت ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل ما بين الثنتين إلى التسعة. وهي من الإناث دون الذكور.

(٦١) في رواية أهل المغازي والسير أنه بعث في أثرهم كرز بن جابر الفهري في عشرين فارسا، وأن اسم الراعي يسار ـ ابن إسحاق ـ بإسناد ضعيف ـ ابن هشام (٤/٣٨٣ ـ ٣٨٤) وابن سعد (٢/٩٣)، والواقدي (٢/٥٦٩).

(٦٢) روى حديث هذه السرية: البخاري/ الفتح (١٦/٣٤/ح ٤١٩٢).

(٦٣) المصدر نفسه: (٢١/٢٥٨ ـ ٢٥٩/ح ٥٦٨٥، ٥٦٨٦).

(٦٤) المصدر نفسه: (٢٥/٢٥٣ ـ ٢٥٤/ح ٦٨٠٥)
وروى القصة مسلم (٣/١٢٩٦ ـ ١٢٩٨/ح ١٦٧١)، وبقية الجماعة (أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة)، وأهل المغازي والسير وانظر الطبري: التفسير (١٠/٢٤٤ ـ ٢٥٣).

(٦٥) المائدة: ٣٣.

(٦٦) انظر سيد سابق: فقه السنة (٢/٤٧١). ولمزيد من التفاصيل ومناقشة مختلف روايات هذه السرية، انظر: الشامي: سبل الهدى والرشاد (٦/١٨١ ـ ١٩٠).

(٦٧) انظر الطبري: التفسير (١٠/٢٤٢ ـ ٢٤٤) حيث ذكر أسبابا أخرى في نزولها. أما الشامي فقد استوعب الروايات من مصادرها المختلفة.

فاتك باطش وقبل أداء المهمة، فزوده أبوسفيان ببعير ونفقة وأوصاه بكتمان الأمر، فجاء المدينة بعد ستة أيام، فدلوه على الرسول ﷺ في مسجد بني عبدالأشهل، فلما رآه قال: إن هذا ليريد غدراً، والله حائل بينه وبين مايريد، وعندما ذهب الأعرابي لينحني على الرسول ﷺ جبذه أسيد بن الحضير ليتنحى عن الرسول ﷺ فاذا الخنجر بداخل إزاره، فأسقط في يد الأعرابي، وعرض عليه الرسول ﷺ الأمان إن هو صَدَقَه، فأخبره بالقصة وماجعل له أبوسفيان، فخلى عنه الرسول، فأسلم.

ولهذا بعث الرسول عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم بن جريش إلى أبي سفيان ليقتلاه، فجاءا مكة، وبعد أن طافا وصليا فطن أهل مكة لعمرو وشكوا فيه، فهموا بقتله مع صاحبه، ففرا إلى المدينة(٦٨).

المبحث السابع عشر: سرية الخَبَط(٦٩) (سِيْف البحر)

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلثمائة راكب قبل الساحل ليرصدوا عيرا لقريش. وعندما كانوا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبوعبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان قدر مزود تمر، يقوتهم منه كل يوم قليلا قليلا، حتى كان أخيرا نصيب الواحد منهم تمرة واحدة، ثم فنيت فلجؤوا إلى أكل الخبط، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط. ثم نحروا من إبلهم حتى كادت تفنى، فنهاهم أبوعبيدة عن ذلك. وعندما انتهوا إلى الساحل بعد مسير نصف شهر، ألقى الله إليهم حوتا ميتا من البحر، مثل الظَّرِب(٧٠) يقال له العَنْبَر، فأكلوا منه وادهنوا نصف شهر، فصحت أجسامهم، وأخذ أبوعبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبها فمر الراكب من تحته. ولم يلق المسلمون

---

(٦٨) ابن سعد (٢/ ٩٣ ـ ٩٤) معلقا، وابن هشام (٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥) معلقا، وليس فيه قصة أبي سفيان والأعرابي، وإسحاق بن راهويه في مسنده بإسناد فيه مجهول كما في المطالب العالية (٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٤)، والبيهقي في السنن (٩/ ٢١٣) ـ مختصرا وبإسناد فيه الواقدي، والطبري في تاريخه (٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٥) من طريق ابن إسحاق، وفي سنده جعفر بن الفضل، لم يترجم له أحد، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، بإسناد فيه الواقدي.

(٦٩) الخبط: ورق العضاة من الطلح والسلم ونحوه يخبط بالعصا فيتساقط، وكانت تعلفه الإبل وقد سبق ذكر ذلك في خبر المقاطعة الدامة.

(٧٠) الظرب: الجبل الصغير.

كيدا، فعادوا وأخبروا الرسول ﷺ بقصة الحوت، فقال: «كلوا رزقا أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم». فأتاه بعضهم بعضو فأكله(٧١).

وكانت هذه السرية على الأرجح قبل صلح الحديبية، وليس في رجب سنة ثمان كما ذكر ابن سعد(٧٢) وذلك لسببين. السبب الأول: أن الرسول ﷺ لم يغز ولم يبعث سرية في الشهر الحرام، والثاني: أن رجب سنة ثمان هو ضمن فترة سريان صلح الحديبية.(٧٣).

وذكر ابن سعد والواقدي(٧٤) ان النبي ﷺ بعثهم إلى حي من جهينة، وقال ابن حجر(٧٥): إن هذا لا يغاير ظاهره ما في الصحيح، لأنه يمكن الجمع بين كونهم يتلقون عيرا لقريش ويقصدون حيا من جهينة، ويحتمل أن يكون تلقيهم للعير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة. ويقوي هذا الجمع ما عند مسلم(٧٦) أن البعث كان إلى أرض جهينة.

إن من أبرز المسائل الفقهية التي وردت في قصة هذه السرية أن في أكل الرسول ﷺ من لحم الحوت الذي تغذى منه المسلمون مدة دليل على مشروعية أكل ميتة البحر(٧٧).

---

(٧١) رواه البخاري من عدة طرق، الفتح (١٦/ ١٩٨ - ٢٠٣/ح ٤٣٦٠ - ٤٣٦٢)، ومسلم من عدة طرق (٣/ ١٥٣٥ - ١٥٣٧/ح ١٩٣٥)، وابن إسحاق بإسناد حسن (ابن هشام ٤/ ٣٧١ - ٣٧٢)، وأحمد: الفتح الرباني (٢١/ ١٤١ - ١٤٢) وغيرهم.

(٧٢) الطبقات (٢/ ١٣٢) معلقا، وعد الذهبي ذلك زعما - انظر: مغازي الذهبي ص ٥١٩، ووَهَّمَ ابنُ القيم ابن سيد الناس في متابعته لابن سعد في هذا التاريخ - الزاد (٣/ ٣٨٩).

(٧٣) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠) والعمري: المجتمع المدني، الجهاد، ص ١٢٥.

(٧٤) المغازي (٢/ ٧٧٤).

(٧٥) الفتح (١٦/ ١٩٩).

(٧٦) صحيحه (٣/ ١٥٣٧/ح ١٩٣٥).

(٧٧) انظر ذلك في أبواب وكتب الأطعمة من أسفار الحديث والفقه.